

تفسير البحر المحيط

@ 237 @ وتقدمت هذه المادة في قوله تعالى : { أَلَمْ نَسْتَحْوَذْ عَلَايَكُمُ } في

النساء ، وأنها من حاذ الحمار العانة إذا ساقها ، وجمعها غالباً لها ، ومنه كان
أحودياً نسيج وحده . وقرأ عمر : استحاذ ، أخرجه على الأصل والقياس ، واستحوذ شاذ في
القياس فصيح في الاستعمال . { فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ } : فهم لا يذكرونه ، لا
بقلوبهم ولا بألسنتهم ؛ و { حِزْبُ الشَّيْطَانِ } : جنده ، قاله أبو عبيدة . {
أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ } : هي أفعال التفضيل ، أي في جملة من هو أذل خلق الله تعالى ،
لا ترى أحداً أذل منهم . .

وعن مقاتل : لما فتح الله مكة للمؤمنين ، والطائف وخيبر وما حولهم ، قالوا : نرجو أن
يظهرنا الله على فارس والروم ، فقال عبد الله بن أبي : أتظنون الروم وفارس كبعض القرى التي
غلبتم عليها ؟ والله إنهم لأكثر عدداً وأشد بطشاً من أن تظنوا فيهم ذلك ، فنزلت : {
كَتَبَ اللَّهُ لَهُ لَا غَلَبَ لِيَنَّ الْأَزَاقُ وَرُسُلِي } : أي في اللوح المحفوظ ،
أو قضى . وقال قتادة : بمعنى قال ، { وَرُسُلِي } : أي من بعثت منهم بالحرب ومن بعثت
منهم بالحجة . { إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ } : ينصر حزيه ، { عَزِيزٌ } : يمنعه من أن يذل
. . .

{ لَا تَجِدُ قَوْمًا } ، قال الزمخشري ، من باب التخييل : خيل أن من الممتنع المحال
أن تجد قوماً مؤمنين يوادون المشركين ، والغرض منه أنه لا ينبغي أن يكون ذلك ، وحقه أن
يمتنع ، ولا يوجد بحال مبالغة في النهي عنه والزجر عن ملاسته والتصلب في مجانية أعداء
الله . وزاد ذلك تأكيداً بقوله : { وَلَوْ كَانُوا عَابَاءَهُمْ } . انتهى . وبدأ بالآباء
لأنهم الواجب على الأولاد طاعتهم ، فنهاهم عن موادتهم . وقال تعالى : { وَإِنْ جَاهَدَاكَ
عَلَى أَنْ تَشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبِهُمَا
فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا } ، ثم ثنى بالأبناء لأنهم أعلق بالقلوب ، ثم أتى ثالثاً
بالإخوان لأنهم بهم التعاضد ، كما قيل : % (أخاك أخاك إن من لا أخاً له % .

كساع إلى الهيجاء بغير سلاح .

. %)

ثم رابعاً بالعشيرة ، لأن بها التناصر ، وبهم المقاتلة والتغلب والتسرع إلى ما دعوا
إليه ، كما قال : % (لا يسألون أخاهم حين يندبهم % .

في النائبات على ما قال برهاناً .

. %)

وقرأ الجمهور : { كَتَبَ } مبنياً للفاعل ، { فَرَى قُلُوبَهُمْ } الإيمان { نصباً ،
أي كتب } . وأبو حيوة والمفضل عن عاصم : كتب مبنياً للمفعول ، والإيمان رفع . والجمهور
: { أَوْ عَشِيرَتَهُمْ } على الأفراد ؛ وأبو رجاء : على الجمع ، والمعنى : أثبت الإيمان
في قلوبهم وأيدهم بروح منه تعالى ، وهو الهدى والنور واللفظ . وقيل : الروح : القرآن .
وقيل : جبريل يوم بدر . وقيل : الضمير في منه عائد على الإيمان ، والإنسان في نفسه روح
يحيا به المؤمن ، والإشارة بأولئك كتب إلى الذين لا يوادون من حادّاه ورسوله . قيل :
والآية نزلت في أبي حاطب بن أبي بلتعة . وقيل : الظاهر أنها متصلة بالآي التي في
المنافقين الموالين لليهود . وقيل : نزلت في ابن أبيّ وأبي بكر الصديق ، رضى الله تعالى
عنه ، كان منه سب للرسول صلى الله عليه وسلم) ، فصكه أبو بكر صكة سقط منها ، فقال له
الرسول عليه الصلاة والسلام : (أوفعلته) ؟ قال : نعم ، قال : (لا تعد) ، قال : والله لو
كان السيف قريباً مني لقتلته . وقيل : في أبي عبيدة بن الجراح ، قتل أباه عبد الله بن
الجراح يوم أُحُد ، وفي